

تفسير أبي السعود

الرعد 17 .

أنزل من السماء أي من جهتها ماء أي كثيرا أو نوعا منه وهو ماء المطر فسألت بذلك أودية واقعة في مواقعة لا جميع الأودية إذ الأمطار لا نستوعب الأقطار وهو جمع واد وهو مفرج بين جبال أو تلال أو آكام على الشذوذ كناد وأندية وناج وأنجية قالوا وجهه أن فاعلا يجيء بمعنى فعيل كناصر ونصير وشاهد وشهيد وعالم وعليم وحيث جمع فعيل على أفعله كجريب وأجربة جمع فاعل أيضا على أفعله فان أريد بها ما يسيل فيها مجازا فاسناد السيلان إليها حقيقي وان أريد معناها الحقيقي فالإسناد مجازي كما في جرى النهر وإيثار التمثيل بها على الأنهار المستمرة الجريان لوضوح المماثلة بين شأنها وشأن ما مثل بها كما أشير إليه بقدرها أي سألت ملتبسة بمقدارها الذي عينه الله تعالى واقتضته حكمته في نفع الناس أو بمقدارها المتفاوت قلة وكثرة بحسب تفاوت محالها صغرا وكبرا لا بكونها مألوفة لها منطبقا عليها بل بمجرد قلتها بصغرها المستلزم لقلة موارد الماء وكثرتها بكبرها المستدعي لكثرة الموارد فأن مورد السيل الجاري في الوادي الصغير أقل من مورد السيل الجاري في الوادي الكبير هذا ان أريد بالأودية ما يسيل فيها أما أن أريد بها معناها الحقيقي فالمعنى سألت مياهاها بقدر تلك الأودية على نحو ما عرفته آنفا أو يراد بضميرها مياهاها بطريق الاستخدام ويراد بقدرها ما ذكر أولا من المعنيين فاحتمل السيل الجاري في تلك الأودية أي حمل معه زبدا أي غثاء ورغوة وانما وصف ذلك بقوله تعالى رابيا أي عاليا منتفخا فوقه بيانا لما أريد بالاحتمال المحتمل لكون الحميل غير طاف كالأشجار الثقيلة وانما لم يدفع ذلك الاحتمال بأن يقال فاحتمل السيل فوقه للإيذان بأن تلك الفوقية مقتضى شأن الزبد لا من جهة المحتمل تحقيقا للمماثلة بينه وبين ما مثل به من الباطل الذي شأنه الظهور في بادي الرأي من غير مداخله في الحق ومما يوقدون عليه في النار أي يفعلون الإيقاد عليه كائنا في النار والضمير للناس أضمر مع عدم سبق الذكر لظهوره وقرء بالخطاب ابتغاء حلية أو متاع أي لطلب اتخاذ حلية وهي ما يتزين ويتجمل به كالحلي المتخذة من الذهب والفضة أو اتخاذ متاع وهو ما يتمتع به من الأواني والآلات المتخذة من الرصاص والحديد وغير ذلك من الفلزات زبد خبث مثله مثل ما ذكر من زبد الماء في كونه رابيا فوقه فقوله زبد مبتدأ خبره الظرف المقدم ومن ابتدائية دالة على مجرد كونه مبتدأ وناشئا منه لا تبعية معربة عن كونه بعضا منه كما قيل لاخلال ذلك بالتمثيل وفي التعبير عن ذلك بالموصول والتعرض لما في حيز الصلة من إيقاد النار عليه جرى على سنن الكبرياء باظهار التهاون به كما في قوله تعالى

فأوقدلي يا هامان على الطين وإشارة إلى كيفية حصول الزبد منه بذوبانه وفي زيادة في النار إشعار بالمبالغة في الاعتماد للإذابة وحصول الزبد كما أشير إليه وعدم التعرض لإخراجه من